ما انفردت به النصوص الشعرية من أخبار السيرة النبوية

د. دريد عبد الجليل الشاروط*

سلم البحث في ١٤٣٨/٢/٢هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٣٨/٣/٢١هـ

ملخص البحث:

تزخر كتب السيرة النبوية بما جادت به قرائح الشعراء العرب من نصوص شعرية تغنت بشمائل المصطفى ﷺ وجسدت أقواله ورصدت أخباره في شتى صورها، وقد أسهمت كتب السيرة إسهاماً فاعلاً في جمع ما تفرق من تلك النصوص ونقلها وإيلائها حقها من العناية والترتيب بما ينسجم وأحداث السيرة النبوية التاريخية. والمتتبع للمواضيع الشعرية التي تناولتها تلك النصوص يجدها تنقسم على قسمين:

أحدهما كان يحمل في ثناياه سفراً من مواقف الرسول الأكرم ﷺ أو وصفاً لمآثره وما رافق حياته الكريمة من أحداث، وقد تميزت صوره بأنها كانت -إلى حد ما- منسجمة مع ما سبق إليه القرآن الكريم والروايات التاريخية من رصد وتوصيف، فلم تخرج مضامينه ورؤاه عن تجسيد المشاهد الواقعية المتعارفة ورصد الأحداث والمواقف التي كانت في متناول الجميع وقتذاك، بمعنى أن الشاعر كان في أغلب نصوصه تلك يتحرك ضمن إطار الوعي الجماعي إسهاماً منه في توثيق سيرة المصطفى ﷺ شعرياً.

أما الآخر -الذي يمثل موضوع بحثنا- فكان يسجل حضوراً لافتاً لوعي الشاعر الذاتي الباحث عن صور متفردة وملامح دقيقة في سيرة نبي الرحمة ﷺ يرصدها بذائقته الشعرية المتقدة ويرسم لوحاتها في مخيلته، سعياً منه إلى إخضاع وقائع السيرة المباركة ومشاهدها المختلفة لسلطة الحس وأحكام التجربة الذاتية.

ويقيناً أن مثل هذه النصوص الشعرية الغنية بالانطباعات الشخصية، التي انفردت بنقل أخبار الرسول الأكرم ﷺ ورسم ملامحه الشخصية وسماته الخلقية بشكل مختلف عن طبيعة السرد الروائي والتاريخي للسيرة العطرة، أضافت ما أضافت لمواضيع السيرة النبوية من رؤىً ومشاهد تستحق منا أن نقف عندها لرصدها وجمعها ودراستها بتأمل وإعطائها حقها من العناية للكشف عن ريادتها وتفردها في نقل الوقائع بما يجعلها رافداً أساساً من روافد تدوين السيرة النبوية وخدمة أهدافها.

* أستاذ مساعد بكلية التربية، جامعة القادسية، الجمهورية العراقية.

Abstract:

The books of the Biography of the Prophet are rich in the literature of the poets of the Arabs from the texts of poetry sung by the merits of the Prophet peace be upon him and embodied his words and monitored the news in various forms, and contributed to the books biography active contribution to the collection of what distinguishes those texts and transfer them and their right to care and arrange in harmony with events Historical Biography of the Prophet: The books of the Biography of the Prophet are rich in the literature of the poets of the Arabs from the texts of poetry sung by the merits of the Prophet peace be upon him and embodied his words and monitored the news in various forms, and contributed to the books biography active contribution to the collection of what distinguishes those texts and transfer them and their right to care and arrange in harmony with events Historical Biography of the Prophet:

المقدمة: مفهوم السيرة:

السيرة لغة:

السيرة في معجم مقاييس اللغة هي (الطريقة في الشيء والسنّة، لأنها تسير وتجري. يقال: سارت وسرتها أنا)[١] وزاد ابن منظور على ذلك قوله: (السير: الذهاب، سار يسير سيراً أو مسيراً وتسياراً ومسيرة وسيرورة... والاسم من كل ذلك: السيرة، حكى اللحياني إنه لحسن السيرة.... والسيرة: الضرب من السير، والسُيَرة الكثير السير، هذا عن ابن جني، والسيرة السنّة، وقد سارت وسرتها... والسيرة الطريقة يقال: سار بهم سيرة حسنة، والسيرة الهيئة، وفي التنزيل العزيز: (سنعيدها سيرتها الأولى)[٢] وسيّر سيرة حسنة: حدّث أحاديث الأوائل)[٣].

السيرة اصطلاحاً:

السيرة في الاصطلاح فن أدبي نثري يعنى بتوثيق الأخبار والأحداث التاريخية لشخصية ما في إطار قصصي فني يحتكم إلى تقنيات السرد وآلياته، وقد عرفها الراغب بأنها (الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره غريزياً كان أو مكتسباً)[٤]، وهي من وجهة نظر المحدثين:

- تاريخ مدون لحياة شخص ما.
- أو هي فن ترجمة الحياة لشخص ما.
- أو هي الجنس الأدبي لقص ترجمات الأشخاص[٥].

وقد غلبت في لسان الشرع على: ما يؤرخ لحياة النبي ﷺ ويعرّف بحال قومه قبل الإسلام وما يتعلق بنسبه وظروف ولادته ونشأته، وما يمتاز به من صفات خلقية وأخلاقية، وما رافق بعثته من أحداث وغزوات[٦]، وقد اقترن مصطلح السيرة بالمغازي،

فقيل إن اللفظتين (إذا أطلقتا، فالمراد بهما عند مؤرخي المسلمين تلك الصفحة الأولى من تاريخ الأمة العربية: صفحة الجهاد في إقامة صرح الإسلام وجمع العرب تحت لواء الرسول محمد ﷺ، وما يضاف إلى ذلك من الحديث عن نشأة النبي، وذكر آبائه، وما سبق حياته من أحداث لها صلة بشأنه، وحياة أصحابه الذين أبلوا معه في إقامة الدين، وحملوا رسالته في الخافقين)[٧].

مصادر السيرة النبوية:

حظيت السيرة النبوية باهتمام المسلمين من العرب وغيرهم، وعملوا على حفظها وتدوينها نثراً وشعراً في مؤلفات وأجناس أدبية متنوعة لم تغادر صغيرة ولا كبيرة من مآثر الحبيب المصطفى ﷺ وصفاته وما رافق حياته من أحداث ومواقف، وكان ملهمهم الأساس لفكرة تدوين السيرة النبوية الشريفة ما وجدوه في كتاب الله عز وجل من آيات مباركات اهتمت بشخصية الرسول الأعظم ﷺ وصورت مشاهد متنوعة ومراحل مختلفة من حياته ودعوته السامية.

وتأتي عناية المسلمين الأوائل بالسيرة النبوية العطرة، من اعتدادهم بشخصية النبي الأكرم ﷺ، وحرصهم على رسم صورته الخلقية المشرقة التي تمثل النموذج الإنساني المتكامل المحتذى، والاحتفاء بنهجه التربوي والعقائدي السامي الذي كان يمثل التطبيق العملي الأكيد للتشريع الرباني.

ويرى الباحثون أن المؤلفات التي اهتمت بنقل السيرة النبوية، تقسم من حيث المنهج العلمي على: قسمين رئيسين:

١- **مصادر أصلية:** وهي الكتب الأولى، وما قاربها، وكان الصحابة ينقلون من المصادر الشفهية المتعددة، ويدونون ذلك، أو يتلقون من مصنفات متعددة، تنقل بالأسانيد، ويوجد في كل كتاب ما ليس في الآخر تبعاً لكثرة شيوخه وتعدد مدوناته ومصادره.

٢- **ومصادر فرعية:** وهي التي أخذت من المصادر الأولى، وعولت عليها، واقتصر عمل مؤلفيها على الجمع والتنسيق، والتعليق والشرح، وبيان الغامض)[٨].

وربما اختلف الباحثون في تحديد المصادر الأصلية للسيرة النبوية بسبب تنوع موضوعاتها واختلاف مضامينها ودرجاتها من حيث التوثيق، فمنهم من حصرها في ثمانية مصادر[٩] ومنهم من أوصلها إلى أكثر من ذلك، وهي على النحو الآتي:

١- **القرآن الكريم:** أول مصادر السيرة النبوية وأهمها لأن نصه قطعي الثبوت، وقد

تناول أحداثاً كثيرة عرضت لحياة الرسول ﷺ وسيرته قبل البعثة وبعدها، مع عدم إغفال ما لكتب التفاسير من أهمية في رفد السيرة النبوية بتفاصيل مهمة سلطت الضوء على مجمل الأحداث والمواقف التي ركز فيها السياق القرآني على ملمح من ملامح السيرة العطرة.

٢-**كتب الحديث النبوي الشريف:** تعنى هذه الكتب بجمع أقوال الرسول ﷺ ورصد أفعاله وتقريراته وتعرض لصفاته، وتتناول جانباً من جهاده ومغازيه، وما يتعلق بظروف ولادته ومبعثه، وتعتمد هذه الكتب النقل بالإسناد منهجاً لها.

٣-**كتب الشمائل:** هي الكتب التي ركزت على ذكر صفات الرسول الأكرم ﷺ الخَلقية والخُلقية وعاداته، وربما كانت نواة هذه الكتب بعض الأبواب التي اشتملت عليها مصنفات الحديث النبوي الشريف.

٤-**كتب دلائل النبوة:** هي الكتب التي جمعت الأحاديث المتناثرة التي تشير إلى المعجزات التي ظهرت على يد النبي ﷺ بما يؤكد نبوته.

٥-**كتب المغازي والسير:** وتتضمن هذه الكتب المرويات المبثوثة في كتب السنة، ما يعنى منها بحروب النبي ﷺ وغزواته وجهاده في سبيل الله، وما يتعلق بمسيرة حياته وما رافقها من أحداث وظروف.

٦-**كتب التواريخ العامة:** هي الكتب التي تنطلق مادتها من المراحل الأولى لبدء الخليقة مروراً بمراحل نشأة الأمم، فهي تضرب في عمق الزمن وتنتقل بالعصور وبالأحداث وصولاً إلى عصر المؤلف وتحظى شخصية الرسول ﷺ بعناية كبيرة في هذه الكتب التي تهتم بروايات خلقه والأخبار التي سبقت ولادته والأحداث التي رافقت نشأته ومبعثه إلى مماته ﷺ.

٧-**كتب تاريخ الحرمين:** ركزت هذه الكتب على الحديث عن مكة المكرمة والمدينة المنورة قبل الإسلام وبعده، وما يتعلق بتاريخ بناء الكعبة المشرفة وتاريخ القبائل العربية التي سكنتها من عهد النبي إسماعيل وإبراهيم ﷺ حتى البعثة النبوية وتاريخ الأوس والخزرج والطوائف اليهودية التي سكنت يثرب حتى شرفها الرسول ﷺ بمقدمه المبارك.

٨-**كتب الأدب شعراً ونثراً:** وهي الكتب التي تضمنت الأبيات الشعرية والقصائد والنصوص النبوية التي بشرت بقدوم النبي ﷺ وواكبت دعوته السماوية ودافعت ونافحت عنه، فضلاً عن ما بقي محفوظاً من نصوص أدبية وقفت موقف الضد من الدعوة الإسلامية(١٠).

وهناك كتب أخرى عدها بعض الباحثين من المصادر الرئيسة للسيرة النبوية مثل: كتب معرفة الصحابة وكتب الطبقات وكتب الجغرافيا وكتب الأنساب.

شعر السيرة النبوية:

أهميته:

لا تقتصر أهمية الشعر في عصر الدعوة الإسلامية على دوره الإعلامي في الدفاع عن الإسلام والذب عن حمى رسول الله ﷺ والإسهام في نشر الدعوة الإسلامية وإيصال صوتها إلى أقصى بقاع الجزيرة العربية بل كان له دور أكبر في توثيق الأحداث والمواقف التي شهدتها الحياة الإسلامية في مختلف مراحلها، فضلاً عن رصده كثيراً من الصور الحياتية والمشاهد البطولية والمواقف الإنسانية التي اختص بها رسول الإنسانية ﷺ، ما جعله سجلاً نابضاً بالأحداث، أسهم إلى حد ما في الحفاظ على سيرة المصطفى ﷺ من الضياع عبر مواكبة حياته الشريفة، وتوثيق ما يعرض من معاجزه، ورسم بعض من صفاته وشمائله ونقل الوقائع الميدانية لحروبه ومغازيه، وتصوير جوانب مختلفة من عظمة رسالته وأحوال بعثته.

ومن الغرابة أننا نجد كثيراً من الباحثين يعدون كتب الأدب التي تتضمن شعر الدعوة الإسلامية مصدراً رئيساً من مصادر السيرة النبوية، ولا نجدهم يعدون الشعر نفسه مصدراً رئيساً من مصادرها الرئيسة وإذا أردنا أن نكون منصفين فعلينا أن نضع الشعر في المرتبة الأولى تاريخياً فقد قيل في شخصية الرسول ﷺ شعر كثير سبق نزول القرآن الكريم بزمن بعيد، أما من حيث الأهمية الموضوعية فيمكن أن يقف الشعر في المرتبة الثالثة بعد القرآن والحديث، فلربما كان الشعر أسبق إلى تصوير بعض أحداث السيرة وروايتها من الروايات نفسها، وربما وقف الشعر معاضداً لمرويات السيرة وموضوعاتها يدعمها ويؤكدها ويقوي ما ضعف منها، بل لقد حمل الشعر من المضامين والصور أحياناً ما لم تلتفت إليه الروايات، وربما احتل الشعر مساحة شاسعة تقارب الثلث من المؤلفات التي دونت السيرة النبوية الشريفة ومن ثم يكون لزاماً أن يحظى شعر السيرة بمرتبة متقدمة من بين المصادر الرئيسة تليق بمكانته ودوره في الحفاظ عليها، ويكون إيلاؤه حقه من العناية والبحث والدراسة من أولويات الباحثين المعنيين بدراسة السيرة النبوية.

ملامحه وأغراضه:

لم يكن شعر السيرة النبوية في إطاره العام جنساً أدبياً غريباً عن ذائقة المتلقي العربي، فقوالبه وبناه الموسيقية هي ذاتها التي كانت البيئة العربية تحفل بها قبل

ظهور الإسلام، وحين ظهر الإسلام لم يكن معنياً كثيراً بالتدخل في واقع التراث العربي وهويته ومقومات ازدهاره، ولم يكن القرآن في غرابة نظمه المعجز وجنسه الأدبي الجديد ليؤسس لثورة على الهيكل العام للقصيدة العربية.

أما أصحاب ذلك الشعر فلم تتفتح قرائحهم أو تقترن فحولتهم بمجيء الدعوة الإسلامية، بل هم أبناء تلك البيئة ومعطياتها وثقافتها، نشأوا في أحضان الشعر وسبقوا إلى نظمه وحملوا ألويته من قبل أن يأتي الإسلام ويعتنقوه، فكانوا أحرص على الالتزام بأسسه وقواعد نظمه، إلى جانب حرصهم على تغيير مضامينه وخصائصه الموضوعية بما ينسجم ومبادئ الإسلام وتعاليمه.

لقد اختص الشعر الذي رافق انطلاق الدعوة الإسلامية بملامح عدة حددت هويته وميزت شخصيته كان أبرزها شيوع الالتزام (حيث اتخذ الشعر أداة لإصلاح المجتمع، وخدمة العقيدة التي آمنوا بها)[١١] إلى جانب اتصافه بالواقعية، إذ كان الشعراء يعيشون حياة الناس وينقلون مشاعرهم وأحاسيسهم وقت السلم وعند الحرب[١٢]، وقد امتد تأثير هذا الالتزام ليشمل الأسلوب، فالناظر في أسلوب الشعر يجده مقيداً بضوابط قيمية مالت به إلى الاتسام بسهولة الألفاظ ووضوح التراكيب، وهذا ما دفع كثيراً من النقاد والباحثين إلى اتهامه بالضعف واللين بسبب روح العقيدة الإسلامية ومبادئ الخير التي هيمنت على طبيعته، يقول الأصمعي: (الشعرُ نكد بابه الشر، فإذا دخل في الخيرِ ضعُف ؛ هذا حسان بن ثابت فحلٌ من فحول الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شِعره، وقال مرة أخرى: شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر، فقُطع متنه في الإسلام)[١٣]. ويعزو الدكتور عبد الله الحامد ذلك الضعف إلى عوامل عدة منها:

دخول ألفاظ القرآن الكريم واستعمالها بكثرة، مع نقل المعاني القرآنية بطريقة مقاربة للأسلوب النثري إلى جانب فقدان كثير من الشعراء ملكتهم الشعرية وفحولتهم وأصالة موهبتهم، يضاف إلى ذلك شيوع ظاهرة الارتجال وانحسار العناية بتجويد الشعر، مع ظهور كثير من الشعراء المغمورين الذين لا يصلون إلى الفحولة، فضلاً عن تأثير البيئة الحضرية والألفاظ المدنية في نزعة ذلك الشعر[١٤].

وتجدر الإشارة إلى أن جزالة ألفاظ القرآن الكريم وقوة معانيه التي أبهرت العرب وأعجزتهم عن الإتيان بمثله دفعت بكثير من الفحول –مثل لبيد بن ربيعة– إلى الابتعاد عن قول الشعر، وفي ذلك يقول الدكتور البهبيتي: والعرب قوم ذوو ذوق قولي ممتاز (فلم يلبثوا أن أخذهم القرآن بجماله، كما أخذتهم بالدهشة تلك الشريعة الكاملة،

المبرأة من النقائض التي كانت تصيب الشرائع الأخرى، فشغلوا بالقرآن وسكت الشعراء ليستمعوا إلى كلمة الله)[١٥].

ومن الملامح الأسلوبية الأخرى التي ميزت شعر السيرة أن قصائده مالت إلى المباشرة والابتعاد عن التهويل والمبالغة والتحرر من الالتزام بالافتتاحيات والمقدمات الطللية والحديث عن التجارب الذاتية والرحلات وما يتعرض له الشعراء من وصف للناقة والفرس وغيرها[١٦]، واعتاضوا عن ذلك بالمقدمات الدينية والقيمية التي نادى بها الإسلام.

أما مضامين شعر السيرة النبوية فقد اتسمت بالآتي:

١- الاقتباس من القرآن الكريم: ظهر تأثر شعراء الدعوة الإسلامية واضحاً ببلاغة القرآن الكريم ورشاقة أسلوبه ودقة معانيه فأخذوا يستمدون صورهم وأخيلتهم وتشبيهاتهم من ألفاظه وتراكيبه وقصصه المختلفة كقول النعمان بن بشير الأنصاري[١٧]:

قد أتاكم مع النبي كتاب صادق تقشعر منه الجلود

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾[١٨].

٢-اهتمام الشعراء برسم الصفات الخلقية والخلقية لشخص الرسول الأكرم ﷺ، ومع هذا الاهتمام نجد الشعراء مقيدين بإطار وصفي محدد لا يتجاوزوه إلى عوالم أرحب لفرط احترامهم وتقديرهم لشخص النبي ﷺ وجلال هيبته، وفي ذلك يقول القاعود: (ولأن الملامح الشخصية ترتبط بصورة ما بذلك الجلال أو الاحترام الذي يتوجب لرسول الله، وهو ما يجعل الشاعر حريصاً كل الحرص على عدم الاقتراب من شخصيته إلا بقدر والتعامل معها من خلال قيم مجردة وأفكار معنوية أكثر من أي شيء آخر ولذلك لا نرى ملامح شخصيته الخاصة في صورتها الأصلية، بقدر ما نراها منعكسة على رؤية الشاعر وعلاقته بالظاهرة الاجتماعية)[١٩].

٣-طغيان مبدأ الافتخار بانتساب الشاعر أو قبيلته إلى الإسلام، وانحسار صور الفخر الجاهلية التي كانت تستند إلى المفاضلة والتمايز الطبقي بين الأفراد والقبائل.

٤-شاع في القصائد والأبيات الحماسية والوصفية التي تسجل أحداث المعارك التي خاضها المسلمون التذكير بالقيم السماوية السمحاء، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت[٢٠]:

وخبر بالذي لا عيب فيه بصدق غير أخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر لنا في المشركين من نصيب

(فالشاعر يرى أن انتصارهم في معركة بدر إنما هو بدعم من الله سبحانه وتعالى، وهو تحول عظيم في مفهوم الحرب عما كانت عليه في الجاهلية)[٢١].

٥- انحسار صور الندب والبكاء المشوب باليأس في شعر الرثاء، فقد غير الإسلام كثيراً من المفاهيم الجاهلية المتعلقة بالموت، فمنح الناس أملاً في الحياة الآخرة وبلوغ الجنان، وصوّر الشهداء أحياء عند ربهم، فأخذت المراثي تتغنى بشرف الذود عن المبادئ الإسلامية، وتصور اللهفة والاندفاع باتجاه الحرب لنيل الشهادة، وتفخر بهدفها السامي وهو التضحية في سبيل الله ورفعة الإسلام.

٦- تضمين قصائد الشعر المواجِهة لأعداء الإسلام صوراً إسلامية جديدة تمعن في وصمهم بالشرك والجهل بمعرفة الله تعالى وعبادة الأصنام وإتيان الكبائر، وهي معان إسلامية لم يدرك المعنيون بها أثرها إلا بعد دخولهم الإسلام، وفي ذلك يقول محمد بن سيرين (كان يهجوهم ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة. فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر، ويعيرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر. قال: فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب، وأهون القول عليهم قول عبد الله بن رواحة، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام، كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة)[٢٢].

وبهذا يمكن أن نصل إلى القول إن شعر السيرة النبوية الذي خط لنفسه مسارات واتجاهات معاصرة تحرر فيها إلى حد ما من القيود الجاهلية أثبت للتاريخ أنه شعر حي مفعم بالأصالة، قادر على مواكبة الأحداث ومتغيراتها، وجدير بالوقوف إلى جانب الدعوة الإسلامية لتأييدها ونشرها والدفاع عنها، وأن اضطلاعه بمهمة تدوين الأحداث والمواقف التي واكبت مسيرة الدعوة الإسلامية يعد عملاً جباراً يستحق منا أن نقف عنده ملياً ونوليه عنايتنا بالبحث والدراسة، ونحفظ له مكانته ونسلط الأضواء على دوره المتميز الذي أسهم إسهاماً فعالاً في الحفاظ على السيرة النبوية.

المبحث الأول
شعر السيرة النبوية في إطار الوعي الجماعي

لم يكن شعر السيرة النبوية بمعزل عن الوقائع التاريخية والمشاهد الحياتية التي أسست لظهور المجتمع الإسلامي ورافقت مسيرته، فمع بزوغ فجر الدعوة الإسلامية وجد الشعر نفسه أمام تحد كبير للنهوض بأعباء مسؤوليته الفنية والتاريخية والإعلامية، وعلى الرغم من خضوعه لمعيار الصدق الذي فرضته المبادئ الإسلامية السامية، والتزام أصحابه وتقيدهم بانتقاء موضوعاته وألفاظه ومعانيه وإضفاء الصبغة

الإسلامية عليها –ما أسهم بشكل فاعل في فقدانه جزءاً من قوته وقيمته الإبداعية– إلا أنه ظل محتفظاً بدوره في نصرة الإسلام والدفاع عنه وفي العمل على تجسيد يوميات السيرة النبوية بشكل متواصل، إذ سرعان ما استطاع الشعراء الإسلاميون التأقلم مع الواقع الشعري الجديد، وبالأخص حين وجدوا أنفسهم أمام كم هائل من الوقائع والأحداث التي يمكن أن تمد قصائدهم بالمواضيع الثرة بعد أن أُثقلت القصيدة الجاهلية بكثرة لوحاتها وتكرار موضوعاتها حتى قال قائلهم(٢٣):

ما أرانا نقول إلا رجيعاً أو معاداً من قولنا مكرورا

فأخذ الشعراء على عاتقهم تسجيل المواقف وتصوير الروايات والقصص والمشاهد بأطر شعرية تحفظها من النسيان وتشيعها في الأوساط وتواجه بها أعداء الإسلام الراغبين في كبح جماح الدعوة وطمس معالمها.

وقد ظلت مادة الشعر في تلك المرحلة من عمر الدعوة الإسلامية تنهل إلى حد ما من الموروث الروائي للسيرة المحمدية العطرة، وتناغم السياقات القرآنية التي تزخر بالمواقف الإنسانية والرسالية التي تصدر عنه ﷺ، والتي تنقل المشاهد الحقيقية والصور النفسية التي ترافق مسيرة الدعوة الإسلامية الجهادية والسلمية، ولم تقف مادة الشعر عند ذلك الحد بل تجاوزته إلى التعبير عن ما يتخذه المشركين من تدابير وما يكيدون من مكائد، في مقابل ما يكنه المسلمون من محبة لرسولهم ﷺ وتفانيهم في نصرته، وما يلمسونه من معاجزه، وما تشهده يومياتهم من مواقف معه ووقائع ضد أعدائه، والتغني بقصصهم وملاحمهم البطولية، والافتخار بانتصاراتهم وتمجيد شهدائهم.

وبهذا ظل الجزء الأكبر من شعر السيرة النبوية أسير الوعي الجمعي، الذي حدد مهمة الشعر في نقل معطيات تلك المادة وتدوينها في أطر شعرية خالية من الانطباع الشخصي للشاعر، ما أفضى إلى خلق تطابق كبير بين موضوعات شعر السيرة ومرويات كتب السيرة النبوية، أفقد الشعر تميزه وحيازته قصب السبق وشرف الريادة في تجسيد الأحداث، فتطابق الأحداث أفرز حالة من الصراع أو الصعوبة في التعرف على أولية نقل الخبر وإثبات ما إذا كان نظمه استند إلى روايته، أم أن روايته ألفت وبنيت على أساس ما ورد في شكله المنظوم ؟.

على أن هناك أخباراً خضعت فيها النصوص الشعرية إلى سلطة الرواية، فلم يكن للشعر فيها سوى نظمها في قوالب موزونة، من ذلك قول العباس بن عبد المطلب(٢٤):

مِنْ قَبْلِها طِبْتَ في الظِّلالِ وفي مُسْتَوْدَعٍ حيثُ يُخْصَفُ الوَرَقُ[1]

ثُمَّ هَبَطْتَ البِلادَ لا بَشَرٌ أنتَ ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ[2]

بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وقدْ أَلْجَمَ نَسْرًا وأهْلَهُ الغَرَقُ[3]

[وَرَدْتَ نارَ الخَلِيلِ مُكْتَتَمًا في صُلْبِهِ أنتَ، كيفَ يَحتَرِقُ؟!][4]

تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إلى رَحِمٍ إذا مَضىٰ عالَمٌ بَدا طَبَقُ[5]

حتَّى احْتَوَىٰ بَيتُكَ المُهَيْمِنُ مِنْ خِنْدِفَ عَلْياءَ تَحْتَها النُّطُقُ[6]

وأنتَ لمَّا وُلِدْتَ أشْرَقَتِ الْـ ـأرْضُ وضاءَتْ بِنُورِكَ الأُفُقُ[7]

فنحنُ في ذلكَ الضِّياءِ وفي النْـ ـنُورِ، وسُبْلَ الرَّشادِ نَخْتَرِقُ

فواضح أن الشعراء في هذه الأبيات وأمثالها لم يجهدوا أنفسهم في خلق الفكرة بل راحوا يجمعون مادتها من الأخبار المتناقلة التي تتحدث عن خلق الرسول ﷺ وانتقاله من آدم عليه السلام إلى أبيه عبد الله بن عبد المطلب وأمه آمنة، كخبر ابن عباس حين سأل رسول الله ﷺ بقوله: (فداك أبي وأمي؛ أين كنت وآدم في الجنة؟، قال: فتبسم حتى بدت نواجذه، ثم قال: (كنت في صلبه ورُكب بي السفينة في صلب نوح وقذف بي في صلب أبي إبراهيم، لم يلتق أبواي على سفاح قط، ولم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسيبة إلى الأرحام الطاهرة، صفتي مهدي، لا ينشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما، قد أخذ الله بالنبوة ميثاقي، وبالإسلام عهدي، وبشر في التوراة والإنجيل ذكري، وبين كل نبي صفتي، تشرق الأرض بنوري، والغمام لوجهي)...)[٢٥].

وفي خبر آخر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سألت النبي ﷺ: (يا رسول الله متى جعلت نبياً ؟ قال: وآدم بين الروح والجسد)[٢٦]. فقيل في هذا المعنى[٢٧]:

سبقت نبوته وآدم طينة فله الفخار على جميع الناس

وهكذا الحال مع ما روي من أخبار عن مولده الشريف ﷺ وظروف يتمه ونشأته، فهذه الأخبار وأمثالها لم يلتفت الشعر إلى توثيقها إلا بعدما بعث النبي ﷺوأصبحت سيرته محط اهتمام المسلمين وذهب الرواة يجمعون أخبارها ويوثقونها، لذا نجد النصوص الشعرية حين تصدت لنظمها لم تزد شيئاً على ما تناقلته الناس في شأن هذا الموضوع، قال ابن جابر الأندلسي[٢٨]:

لقد سعدت حليمة حيث حازت * * رضاعته ونالت كل فخر

فدر عليه منها الثدي حالا * * ولم يك قبل ذا يشفي بدر

وأعلم أنه لأخيه حق * * فغادر ثديها الثاني بوفر
وشارفها جرت لبنا فأروت * * وكانت لا تبض (١) لهم بقطر
وأسرعت الأتان (٢) به نهوضا * * فأعجب كل من في الركب يسري
وكانت من وراء القوم ضعفا * * فصارت عن أمام القوم تجري
فقالوا إن لابنك ذا لشأنا * * أخذت مباركا فثقي بيسر
وكان يشب في شهر كعام * * إذا اعتبروا وفي يوم كشهر
ويصبح دون صبيتهم دهينا * * كحيلا طيبا من غير عطر
وكانوا في أشد الأرض جدبا * * فعم القطر منها كل قطر
وخلف بيوتهم جبريل وافى * * فشق الصدر منه بغير ضر
وألقى مغمز الشيطان منه * * فطهره فنال أتم طهر
حشا منه الحشا علما وحلما * * وإيمانا على ورع وصبر
وأكرمه الإله بشق صدر * * ووضع الوزر عنه ورفع ذكر
فكان رضا بلا سخط وبذلا * * بلا بخل وخيرا دون شر
له خلق الملائك وهو خلق * * من البشر الخصيص بكل بشر
إله العرش أرسله بشيرا * * نذيرا داعيا لهدى ويسر
فأبدلنا بهدي بعد جهل * * وعوضنا بيسر بعد عسر
عليه صلاة رب العرش تندى * * كما تندى الرياض بكل فجر
يواصل عرفها آلا وصحبا * * كأن ثناهم نفحات زهر

فهذه النصوص المنبثقة من رحم الروايات والأخبار لا يمكن أن تمنح الشاعر فرصة للتخيل أو التحليق في فضاءات خاصة تقترحها ذائقته الشخصية، بل غالباً ما تلزمه بالإطار الروائي للخبر كما استقرت عليه صورته في أذهان الناس وبما هي عليه أحداثه من تسلسل تاريخي وما تتضمنه من أدوار محددة لشخوصه.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل امتدت الصياغة الشعرية لتصل إلى رصد أبرز المحطات ونقاط التحول في مسيرة الدعوة الإسلامية سواء ما اشترك الرسول ﷺ وصحبه في روايتها كخبر هجرته ﷺ وأحوالها أو ما انفرد ﷺ في الإخبار عنها ونقله الرواة عنه كخبر الإسراء والمعراج، قال البوصيري في أحوال خروج الرسول ﷺ من مكة وهجرته إلى المدينة[٢٩]:

وَيْحَ قَوْمٍ جَفَوْا نَبِيّاً بِأَرْضٍ	أَلِفَتْهُ ضِبَابُهَا وَالظِّبَاءُ

وَسَلَوْهُ وَحَنَّ جِذْعٌ إِلَيْهِ	وَقَلَوْهُ وَوَدَّهُ الْغُرَباءُ
أَخْرَجُوهُ مِنْهَا وَآوَاهُ غَارٌ	وَحَمَتْهُ حَمَامَةٌ وَرْقَاءُ
وَكَفَتْهُ بِنَسْجِهَا عَنْكَبُوتٌ	مَاكَفَتْهُ الْحَمَامَةُ الْحَصْدَاءُ
وَاخْتَفَى مِنْهُمُ عَلَى قُرْبِ مَرآ	هُ وَمِنْ شِدَّةِ الظُّهُورِالْخَفَاءُ
وَنَحَاالْمُصْطَفَى الْمَدِينَةَ وَاشْتَا	قَتْ إِلَيْهِ مِنْ مَكَّةَ الأَنْحَاءُ
وَتَغَنَّتْ بِمَدْحِهِ الْجِنُّ حَتَّى	أَطْرَبَ الإِنْسَ مِنْهُ ذَاكَ الْغِنَاءُ
واقْتَفَى إِثْرَهُ سُرَاقَةُ فَاسْتَهْ	وَتْهُ فِي الأَرْضِ صَافِنٌ جَرْدَاءُ
ثُمَّ نَادَاهُ بَعْدَمَا سِيمَتِ الْخَسْ	فَ وَقَدْ يُنْجِدُ الْغَرِيقَ النِّدَاءُ
فَطَوَى الأَرْضَ سَائِراً والسَّمَوَا	تُ العُلاَ فَوْقَهَا لَهُ إِسْرَاءُ
فَصِفِ اللَّيْلَةَ التِي كَانَ لِلْمُخْ	تَارِ فِيهَا عَلَى البُرَاقِ اسْتِوَاءُ
وَتَرَقَّى بِهِ إِلَى قَابِ قَوْسَيْ	نِ وَتِلْكَ السِّيَّادَةُ الْقَعْسَاءُ
وَتَلَقَّى مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ	كُلَّ شَمْسٍ مِنْ دُونِهِنَّ هَبَاءُ
زَاخِرَاتِ البِحَارِ تَعْجَزُ عَنْ إِدْ	رَاكِهَا الْعُلَمَاءُ وَالْحُكَمَاءُ

وقد صور كثير من الشعراء وقائع نزوله ﷺ في المدينة والتفاف الأنصار من الأوس والخزرج من حوله في إطار سردي لا يبتعد عن ما وقعت عليه أعين الناس ممن شهد الأمر وما تناقلته الروايات التاريخية التي فصلت في هذا الموضوع قال صرمة بن قيس الأنصاري(٣٠):

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى حبيبا مؤاتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا
فلما أتانا واستقرت به النوى وأصبح مسرورا بطيبة راضيا

بذلنا له الأموال من حل مالنا وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم جميعا وإن كان الحبيب المصافيا
ونعلم أن الله لا رب غيره وأن رسول الله أصبح هاديا

ومثله في ذلك قول حسان بن ثابت(٣١):

قَومي الَّذينَ هُمُ آوَوا نَبِيَّهُمُ وَصَدَّقوهُ وَأَهلُ الأَرضِ كُفّارُ
إِلّا خَصائِصَ أَقوامٍ هُمُ سَلَفٌ لِلصالِحينَ مَعَ الأَنصارِ أَنصارُ
مُستَبشِرينَ بِقَسمِ اللَهِ قَولُهُمُ لَمّا أَتاهُم كَريمُ الأَصلِ مُختارُ
أَهلاً وَسَهلاً فَفي أَمنٍ وَفي سِعَةٍ نِعمَ النَبيُّ وَنِعمَ القَسمُ وَالجارُ
فَأَنزَلوهُ بِدارٍ لا يَخافُ بِها مَن كانَ جارَهُمُ داراً هِيَ الدارُ
وَقاسَموهُ بِها الأَموالَ إِذ قَدِموا مُجاهِدينَ وَقَسمُ الجاحِدُ النارُ
سِرنا وَساروا إِلى بَدرٍ لِحَينِهِمُ لَو يَعلَمونَ يَقينَ العِلمَ ما ساروا
دَلّاهُمُ بِغُرورٍ ثُمَّ أَسلَمَهُم إِنَّ الخَبيثَ لِمَن والاهُ غَرّارُ
وَقالَ إِنّي لَكُم جارٌ فَأَورَدَهُم شَرَّ المَوارِدِ فيهِ الخِزيُ وَالعارُ
ثُمَّ اِلتَقَينا فَوَلَّوا عَن سَراتِهِمُ مِن مُنجِدينَ وَمِنهُم فِرقَةٌ غاروا

ولا يختلف الأمر فيما ترجمته النصوص الشعرية من خبر الإسراء والمعراج، قال البوصيري(٣٢):

سريتَ من حرمٍ ليلاً إلى حرمٍ كما سرى البدرُ في داجٍ من الظلمِ
وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً من قابِ قوسينِ لم تدركْ ولم ترمِ
وقدَّمتكَ جميعُ الأنبياءِ بها والرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَم
وأنتَ تخترق السبعَ الطِّباقَ بهمْ في مَوْكِبٍ كنْتَ فيهِ صاحِبَ العَلَمِ
حتى إذا لَمْ تَدَعْ شَأْواً لمُسْتَبِقٍ من الدنوِّ ولا مرقيً لمستنمِ
خفضتَ كلَّ مقامٍ بالإضافة إذ نُودِيتَ بالرَّفْعِ مِثْلَ المُفْرَدِ العَلَم
كيما تفوزَ بوصلٍ أيِّ مستترٍ عن العيونِ وسرٍّ أيِ مُكتتمِ
فَحزْتَ كلَّ فَخَارٍ غيرَ مُشْتَرَكٍ وجُزْتَ كلَّ مَقامٍ غيرَ مُزْدَحَمِ
وَجَلَّ مِقْدارُ ما وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ وعزَّ إدْراكُ ما أُولِيتَ مِنْ نِعَمِ
بُشْرَى لَنا مَعْشَرَ الإسلامِ إنَّ لنا من العنايةِ رُكناً غيرَمنهدمِ
لمَّادعا الله داعينا لطاعتهِ بأكرمِ الرُّسلِ كنَّا أكرمَ الأممِ

وقال غيره[٣٣]:

ولقد دنا من ربه لما دنا في ليلة المعراج والإسراء
سمع الخطاب بحضرة قدسية ما حلها بشر من العظماء
وبرؤية الجبار فاز ويا لها من نعمة عظمت على النعماء

فالمتتبع لهذه الأبيات ومادتها لا يضع في ذهنه أنه سيقع على معلومة جديدة يمكن أن تحسب لذكاء الشاعر أو سعيه إلى التخلص من إطار الوعي الجماعي المشترك، بل هو على يقين من أن النص الشعري لن يكون إلا مرآة الخبر المروي المؤطرة بالوزن والقافية، والخاضعة لسلطته وربما لقدسيته كما يحصل أحيانا في إعادة تشكيل الصورة القرآنية أو الحديث النبوي في نص شعري، فقد ورد كثير من النصوص الشعرية التي استندت إلى الخطاب القرآني المتضمن لأحداث السيرة النبوية ومواقف شخوصها واعتمدت سياقاته، من ذلك قول عبد الله بن رواحة في مدح الرسول ﷺ[٣٤]:

يبيت مجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

الذي أشار فيه إلى قوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾[٣٥]، وقول حسان بن ثابت[٣٦]:

وكان رسول الله قد قال أقبلوا فولوا وقالوا: إنما أنت ساحر

المأخوذ عن قوله تعالى: ﴿قالوا إنما أنت من المسحرين﴾[٣٧].

ولم يكن وعي الشاعر الجمعي مقتصراً على نظم ما يتناقله الناس من أخبار وروايات وما تجسده أبياته من صور قرآنية وخطاب نبوي، بل لقد شحذ قدراته في توثيق ما امتاز به النبي ﷺ من صفات وشمائل وما ظهر على يديه من معاجز شهد بها كل من عرفه ﷺ. وبالطريقة نفسها كانت النصوص الشعرية تنظر إلى تلك المميزات بما اتفق عليه الوعي الجمعي وما اختزنه من صور محسوسة أو ملموسة لشخصيته ﷺ العظيمة المتكاملة، فهذا أبو عزة يقول[٣٨]:

من مبلغ عني الرسول محمداً بأنك حق والمليك حميد
وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤ بوئت فينا مباءة لها درجات سهلة وصعود

وقال حسان بن ثابت[٣٩]:

وذكرت منا ماجداً ذا همة سمح الخلائق صادق الإقدام

أعني النبي أخا المكارم والندى وأبر من يولى على الإقسام

وقال عبد الله بن الزبعرى(٤٠):

وعليك من علم المليك علامة نور أغر وخاتم مختوم
أعطاك بعد محبة برهانه شرفاً وبرهان الإله عظيم
ولقد شهدت بأن دينك صادق حق وأنك في العباد جسيم
والله يشهد أن أحمد مصطفى مستقبل في الصالحين كريم

فيقيناً أن الصفات العامة التي وصف بها الرسول ﷺ هنا من أنه حق وأنه صادق يدعو إلى الحق والهدى وما امتاز به من سماحة خلقه وسمو درجاته وجوده وما حباه الله من محبة، لم يكن للشعر فضل في إبرازها بل هي معلومة للجميع يألفها فيه القاصي والداني، وما للشعر فيها إلا جمعها والإشارة إليها، فالشاعر لم يخرج عن نطاق ما اتفقت عليه رؤية الناس، لينظر إلى خصال رسول الله ﷺ بمنظاره الخاص ويتذوق جمال تلك الصفات بذائقته الشخصية.

وهكذا الحال مع ما حملته لنا النصوص الشعرية من أخبار معاجزه ﷺ التي جرت على يده وشهدها الناس وشاعت أخبارها بينهم، قال أبو العباس الناشي(٤١):

وجاء بآيات تبين أنها دلائل جبار مثيب معاقب
فمنها انشقاق البدر حتى تعممت شعوب الضيا منه رؤوس الأخاشب
ومنها نبوع الماء بين بنانه وقد عدم الوراد قرب المشارب
فروى بها جمعاً غفيراً وأسهلت بأعناقه طوعاً أكف المذانب
وبئر طغت بالماء من مس سهمه ومن قبل لم تسمح بمذقة شارب
وضرع مراه فاستدر ولم يكن به درة تصغي إلى كف حالب

أما إذا انتقلنا إلى المعارك التي خاضها المسلمون لنشر الدعوة الإسلامية، فإننا نجد للشعر حضوراً كبيراً في الرصد والتوثيق بنمط لا يختلف غالباً عن الأنماط المتقدمة التي حددت مهمتها في التجسيد الشعري الخاضع لسلطة الوعي الجمعي، فهذا ابن لقيم العبسي يقول(٤٢):

نبي تلاقته من الله رحمة ولا تسألوه أمر غيب مرجم
فقد كان في بدر لعمري عبرة لكم يا قريشاً والقليب الململم
غداة أتى في الخزرجية عاماً إليكم مطيعاً للعظيم المكرم
معاناً بروح القدس ينكى عدوه رسولاً من الرحمن حقاً بمعلم

فلم يزد على أن أخبر بأن الرسول ﷺ مؤيد برحمة من الله، وقد كان دليل ذلك ما حققه من نصر في بدر حين التقى قريشاً ومعه الأنصار من الخزرج، ومن ورائهم روح القدس الذي نكل بأعدائه. فمثل هذه الحقائق لا يختلف عليها اثنان وقد سبق إليها القرآن الكريم، ولم يكن للشاعر دور فيها غير نظمها في هذا القالب الشعري.

كذلك الأمر مع حسان بن ثابت الذي عمد إلى تجسيد ما قاله الرسول ﷺ بحق قتلى القليب إذ ناداهم: (يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس، ثم قال: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟)[٤٣] ففي ذلك يقول[٤٤]:

يناديهم رسول الله لما قذفناهم كباكب في القليب

ألم تجدوا كلامي كان حقاً وأمر الله يأخذ بالقلوب ؟

نخلص من هذا إلى القول: إن هناك كثيراً من النصوص الشعرية التي تضمنتها كتب السيرة النبوية لم يكن للشعر فيها غير نظمها في قوالب موزونة، لأن موضوعاتها انطلقت من روايات متكاملة تضمنت المشاهد الأبرز لمسيرة الدعوة الإسلامية ويومياتها التي خاضها النبي ﷺ وصحبه الكرام، وحفظتها ذاكرة المسلمين الأوائل، ونقلت بأقصى قدر من الدقة والتفصيل، فلم تدع للشاعر حين تصدى لنظمها مجالاً للتعبير عن رؤيته الخاصة أو رصده الذاتي لها حتى في حال كان هو نفسه جزءاً منها أو مشاركاً في نقلها، بل فرضت عليه أن يجسد وقائعها في صورتها الثابتة التي انطبعت في أذهان من شهدها أو رواها.

المبحث الثاني
شعر السيرة النبوية في إطار الوعي الذاتي

لم يكن شعر السيرة النبوية ليتوقف عند النمط السائد من البناء الموضوعي الذي كان يلزم نفسه بنظم الروايات والأحداث في إطار سردي خاضع لسلطة الموقف وهيمنة الوعي الجمعي، بل سعى الشاعر بين الحين والآخر إلى التحرر من ذلك النمط عبر تغليب الذات من خلال تفعيل شاعريته وتحفيز وعيه الحسي وإحياء ذائقته الشخصية وقدرته على بناء الفكرة وابتكار صورها وتغليب إرادته في الانتقاء والرصد وإعادة تشكيل الروايات والأحداث بطريقة تحفظ للشعر مكانته الفنية وتمنح الشاعر فرصة للإعراب عن موهبته وهويته الشعرية.

لقد اختط شعر السيرة النبوية –المبني على أساس تغليب الوعي الذاتي– لنفسه منهجاً واضحاً في التعامل مع المواقف، فنراه أحياناً أسبق إلى رصد الفكرة

وصياغتها من روايتها، وأحياناً أخرى نجده يستلهم روايات السيرة النبوية ويحيلها إلى قصائد شعرية خاضعة لسلطته الفنية مستنبطاً منها أفكاراً وصوراً لم يُسبق إلى رصدها ولم يُلتفت إليها.

فمن الأفكار التي رصدتها ذائقة الشاعر وسلطة حسه، ولم تسبق بأحداث روائية تهيمن عليها، ما روي عن عبد المطلب في حق رسول الله ﷺ من قوله(٤٥):

الحمد لله الذي أعطـاني هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان أعيذه بالبيت ذي الأركان

فواضح من هذين البيتين ما كان يغمر عبد المطلب من محبة لرسول الله ﷺ وسرور بمولده، وأنه رأى فيه السيادة وهو في المهد ونبأ بها، وأنه كان يعيذه ببيت الله بخلاف الرواية التي تقول إنه أدخله على هبل في جوف الكعبة(٤٦).

ومثل تلك النبوءة يرصده ورقة بن نوفل بقوله(٤٧):

بأن محمداً سيسود فينا ويخصم من يكون له حجيجا

أما عمرو بن مرة فقد نبه إلى أمر غاية في الأهمية لم نجد في ما بين أيدينا من كتب السيرة النبوية من سبق إليه، وذلك في قوله(٤٨):

لأصحب خير الناس نفساً ووالداً رسول مليك الناس فوق الحبائك

فالمتعارف أن رسول الله ﷺ هو خير الخلق أجمعين، ولكن زاد الشاعر على ذلك أنه خير الناس والداً ما يعني أن لأبيه ﷺ عبد الله من الشرف والمكانة والرفعة ما ميزه عن كثير من أخوته وأبناء قومه فكانت له الأفضلية عليهم وعلى الناس جميعاً. ويسوق لنا شعر السيرة النبوية أخباراً أخرى عن نشأته ﷺ ومكانته عند عمه أبي طالب ما لم تحدثنا به الرواة والأخبار، فمن ذلك قوله(٤٩):

إن ابن آمنة الأمين محمداً عندي بمثل منازل الأولاد
لما تعلق بالزمام رحمته والعيس قد قلصن بالأزواد
فارفض من عيني دمع ذارف مثل الجمان مفرق الأفراد
راعيت منه قرابة موصولة وحفظت فيه وصية الأجداد
وأمرته بالسير بين عمومة بيض الوجوه مصالت أنجاد
ساروا لأبعد طية معلومة فلقد تباعد طية المرتاد
حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا لاقوا على شرك من المرصاد
حبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً عنه ورد معاشر الحساد

قوماً يهوداً قد رأوا ما قد رأى ظل الغمامة ثاغري الأكباد
ساروا لفتك محمد فنهاهم عنه وأجهد أحسن الإجهاد

فالمتتبع لهذا النص يجد فيه كماً من الأخبار والحقائق التي يسردها الشاعر وفق رؤيته الشخصية والتي تربوا على سياقات نقلها وروايتها أحياناً وتغاير معلوماتها أحياناً أخرى، إذ نجد أبا طالب كان يكني عن ابن أخيه بابن آمنة في مقام العطف والمحبة، فهو لا يريد أن يقول أن منزلة محمد ﷺ عنده كمنزلة أبنائه حسب بل يريد أن يعرب عن فكرة أوسع مفادها أنه لم يعوضه عن فقد أبيه حسب بل عن ما فقده من حنان أمه.

ويبدو من البيت الثاني أن النبي ﷺ كان محباً وراغباً في مرافقة عمه والسائرين معه إلى الشام حتى أنه بكى حزناً لفراق عمه(٥٠):

بكى حزناً لما رآني محمد كأن لا يراني راجعاً لمعاد

وفي موضع آخر يقول(٥١):

بكى حزناً والعيس قد فصلت بنا وأمسك بالكفين فضل زمام

ويبدو أن عمه لم يكن راغباً في سفره معهم خشية عليه، ولكنه كان به رحيماً حين ألح على رفقته وتعلق بزمام ناقته، وقتها لم يتمالك أبو طالب عاطفته وشفقته على ابن أخيه حين انهالت دموعه على ذلك الصبي اليتيم الذي لم يكن له أحد من الناس يؤنسه غير عمه.

عند ذاك قبل أبو طالب ونزل عند رغبة ابن أخيه بعد أن غلبت عليه عاطفته وتذكر أباه ووصية جده فيه فأمره بالسير معه(٥٢):

ذكرت أباه ثم رقرقت عبرة بحوراً من العينين ذات سجام

ومن فرط حرصه وخوفه عليه أمره بأن يسير وسط عمومته لا أن يتخلف عنهم أو يسير إلى جوارهم، ثم إن محمداً ﷺ كان لا ينقطع عن محادثة من معه في الركب بأحاديث تطيب لها الأفئدة، وأن أحبار المدن كانت تسجد له لما وجدوا عليه من علامات النبوة(٥٣):

فما رجعوا حتى رأوا من محمد أحاديث تجلو رين كل فؤاد
وحتى رأوا أحبار كل مدينة سجوداً له من عصبة وفراد

وأن الراهب بحيراً عانقه وضمه إلى صدره إيماناً به(٥٤):

حنى رأسه شبه السجود وضمه إلى نحره والصدر أي ضمام

الملاحظ هنا أن ما يسوقه شعر السيرة من معلومات وأخبار يمكن أن يضيف إلى روايتها الشيء الكثير ويمكن أن يغايرها أحياناً كما جاء في البيتين الأخيرين اللذين يظهران أن قوماً من اليهود هم من أقبلوا على النبي ﷺ بعد أن رأوا ما قد رآه الراهب من أمر الغمامة، وكانوا عازمين على الفتك به ﷺ[٥٥]:

فجاءوا وقد هموا بقتل محمد فردهم عنه بحسن خصام

فيما تذهب الرواية[٥٦] إلى أن المقبلين هم سبعة نفر من الروم، ولم تذكر رغبتهم في الفتك بالنبيﷺ ولا السبب في مجيئهم وقصدهم النبي ﷺ وكيف تسنى لهم أن يهتدوا إلى مكانه.

وهذا يقودنا إلى القول إن هيمنة وعي الشاعر الذاتي هي التي كانت وراء استحضار الموضوع في مجمل أبعاده ورسم صوره بتفاصيلها الدقيقة التي لم يتوقف عندها الرواة في ما بعد بسبب ظروف نقل الموضوع وروايته عبر مراحل ممتدة من الزمن.

ويقف شعر السيرة ليعرب لنا عن صفات رسول الله ﷺ من خلال رؤية الشاعر نفسه، فهذا أبو طالب يقول فيه[٥٧]:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل

تطيف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

وميزان عدل لا يخيس شعيرة ووزان صدق وزنه غير عائل

فقد ذكر أن من صفة رسول الله ﷺ أنه كان أبيض اللون، وهو بهذا الوصف يسبق إلى تجسيد ما كانت عليه صورة النبي ﷺ، وإن جاءت الروايات في ما بعد لتغاير هذا الوصف، فعن أنس بن مالك الأنصاري (رض) أن رسول الله ﷺ (كان ربعة من القوم، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير المتردد أزهر اللون، ليس بالأبيض الأمهق، ولا بالآدم)[٥٨].

إلى جانب ذلك نجد أن الأبيات السابقة تطرقت إلى بعض من فضائل رسول الله ﷺ قبل بعثته الشريفة فقد كان معيناً ورؤوفاً باليتامى وكان حامياً ومعيلاً للأرامل، ولما كان على هذه الحال من الرحمة التي عرف بها، كانت المعدمون من قومه وأقربائه من آل هاشم يقصدونه في طلب الخير والمساعدة وينقلبون عنه وهم في نعم جمة، يؤكد ذلك قول طالب بن أبي طالب[٥٩]:

يطيف به العافون يغشون بابه يؤمّون بحراً لا نزوراً ولا صربا

وربما يحتكمون إليه في الخصومات، لما رأوه من عدالة حكمه ورجاحة رأيه، ولا أدل على ذلك من إجماع المختلفين على قبول حكمه في رفع الحجر، وفي ذلك يقول هبيرة بن وهب المخزومي(٦٠):

رضينا وقلنا العدل أول طالع يجيء من البطحاء في غير موعد
ففاجأنا هذا الأمين محمد فقلنا رضينا بالأمين محمد

إذ تشير أبيات هبيرة في قصيدته التي نظمها في هذا الموضوع إلى تفاقم حدة الخلاف بين القبائل على مسألة حمل الحجر، وما آلوا إليه من قلق وترقب بعد إجماعهم على الاحتكام إلى أول طالع يقدم من البطحاء فكانت كل قبيلة تأمل في أن يكون الطالع حليفاً لها ليكون لها النصيب الأوفر في حكمه وتخشى أن يكون حليفاً لغيرها فتجبر على النزول على حكمه، ولكن الطالع كان محمداً ﷺ الذي كان مقدمه مفاجأة للجميع، فهو المعروف لديهم جميعاً بالصادق الأمين، وهو ميزان العدل الذي لا ينحاز إلى فئة دون أخرى فما كان منهم إلا أن يعلنوا بالإجماع رضاهم بأن يحكم بينهم.

يلاحظ أن الشاعر كان حريصاً على أن يجسد أحداث هذا الموضوع بصورة أقرب إلى واقعه وأدق في رسم أبعاده، فكان واعياً بصنعته حين استعان مثلاً بلفظة (ففاجأنا) التي لم تتطرق إليها روايات الخبر في كتب السيرة، فمن خلال هذه اللفظة يمكن الانفتاح على صور وأحداث هامة احتجبت في ظلال الرواية ولم يُلتفت إلى وقائعها أو تسلط عليها الأضواء.

إلى جانب ذلك يسوق لنا أنس بن زنيم الديلي بعضاً من صفات رسول الله ﷺ التي يتردد ذكرها في كتب السيرة كالبر والوفاء بالذمة والحث على الخير، غير أن رؤيته الشعرية الحاذقة تأبى إلا أن تتفرد برسم ملامح متميزة ومتفردة قد تغفل عن رصدها العامة من الناس أو لا تلتفت إليها أقلام الرواة، إذ استطاع أنس أن يرسم لنا صورتين إبداعيتين تجسدان جانباً مهماً من كرم رسول الله ﷺ وعظمة هيبته وسلطانه، يقول في ذلك:

وأكسى لبرد الخال قبل ابتذاله وأعطى لرأس السابق المتجرد
تعلّم رسول الله أنك مدركي وأن وعيداً منك كالأخذ باليد
تعلّم رسول الله أنك قادر على كل صرم متهمين ومنجد

فقد ذكرت الأحاديث وكتب السير كثيراً من شمائل رسول الله ﷺ وفصلت في

جوانب عدة من كرمه وشجاعته وإقدامه، فلم يك ﷺ يؤيس منه راجيه، وكان لا يدخر شيئاً لغد، وكان يوصي بالكرم فيقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فارفدوه[٦١]، غير أننا لم نجد في ما وقع بين أيدينا من روايات خبراً يسبق إلى رصد عطايا رسول الله من البُرد التي لم تُبتذل والخيل السوابق المتجردة، فالشعر كان سباقاً إلى تجسيد مثل هذه الوقائع ومتفرداً في نقلها، ومع استعمال الشاعر لاسمي التفضيل (أكسى وأعطى) يمكننا أن نفهم أن رسول الله ﷺ بلغ بهذه الحال من الكرم مستوى لم يصله أحد من الناس إلى زمانه، أما سلطانه فلا يشابهه سلطان الملوك، فوعيده لا محالة نافذ، وقدرته غالبة على أصقاع الجزيرة.

وفي علامات نبوته يقف عبد الله بن رواحة ليجسد لنا صورة واقعية مفعمة بحسه الرفيع ومشربة بإيمانه الصادق بما يراه ويعتقده من أمر نبوته ﷺ، إذ يقول[٦٢]:

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بداهته تنبيك بالخبر

فواضح من البيت ما للشاعر من قدرة وفراسة ووعي بصنعته وهو يشير إلى صفة عظيمة يتميز بها رسول الله ﷺ وهي البداهة، على أن إشارته هذه لم تكن عابرة بل جعل من بداهته ﷺ دليلاً على نبوته ليؤكد أنها خارقة لا تشبه البداهة التي عليها غيره من الناس.

من جانب آخر يقف العباس بن مرداس السلمي ليتلمس بذائقته الشخصية ملامح النبوة ونفحاتها حين يصف النبي ﷺ بقوله[٦٣]:

أمين على الفرقان أول شافع تلافى وأول مبعوث يجيب الملائكا

عرى الإسلام بعد انتقاضها فأحكمها حتى أقام المناسكا

فالمتتبع لمعاني هذين البيتين يجد أنها استندت إلى فكر متأمل وثقافة شخصية عميقة، فالشاعر يرى في رسول الله ﷺ أنه أول مبعوث وأول من أجاب الملائكة، وفي هذا إشارة إلى أن نبوته ﷺ سبقت كل الرسالات السماوية، لذلك كانت دعوته تنتقل معه عبر العصور والأزمان، وبعد أن أوشك الإسلام أن تنتقض عراه جاءت بعثته الشريفة لتحييه وتحكمه بدستور عظيم خالد وتقيم مناسكه.

لقد استطاع الشاعر في هذه الكلمات الموجزة أن يلخص تاريخ الإسلام من بدء الخليقة مروراً بمراحل انتقاضه وصولاً إلى عصر نهضته وازدهاره.

ولا يختلف الأمر مع تدوين الأحاديث والمواقف النبوية، حيث نجد النص الشعري أميناً على الالتزام بتحديد شخوصها ونصوص حواراتها من ذلك قول شاعر

الأنصار[٦٤]:

وقال رسول الله والحق قوله فقالوا لمن قال منا: من تسمون سيدا؟
له: الجد بن قيس على التي فتى نبخله فيها وإن كان أسودا
ما تخطى خطوة لدنية ولا مد في يوم إلى سوءة يدا
فسود عمرو بن الجموح بجوده وحق لعمرو بالندى أن يسودا

فموضوع هذه الأبيات كان محدداً في محاورة جرت بين الرسول ﷺ والأنصار، إذ قال لهم: (من سيدكم؟ فقالوا: الجد بن قيس على بخل فيه. فقال عليه السلام: أي داء أدْوأ من البخل ؟ بل سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح)[٦٥]. وما يسجل للشعر ههنا أنه يثبت أن رسول اللهﷺ سوّد عمرو بن الجموح، بخلاف رواية ابن هشام التي تذهب إلى أن حوار الرسول ﷺ كان مع بني سلمة حصراً وأنه انتهى إلى أن قال لهم: سيدكم الجعد بشر بن البراء بن معرور[٦٦].

ومن المبالغات الشعرية التي ألح شعراء السيرة على استعمالها تصويرهم لحال رسول اللهﷺ في صورة (الخائف) وبالأخص حين هاجر إلى المدينة، وهذا ما لا يتفق مع شخصيته البطولية وإيمانه المطلق الذي يصوره القرآن في أحلك الظروف التي مر بها في هجرته حين كان يهمس لصاحبه في الغار بكل شجاعة وإيمان واطمئنان (لا تحزن إن الله معنا)[٦٧]. غير أن الشاعر يبالغ في الوصف حين يقول[٦٨]:

وقيت بنفسي خير من وطيء الثرى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله خاف أن يمكروا به فنجاه ذو الطول الإله من المكر

وفي السياق ذاته يقول صرمة أبي قيس الأنصاري[٦٩]:

فلما أتانا واطمأنت به النوى وأصبح مسروراً بطيبة راضيا
وأصبح ما يخشى ظلامة ظالم بعيد ولا يخشى من الناس باغيا

فمبالغة الشاعر أفضت به إلى الاعتقاد بأن رسول الله ﷺ كان يخشى الظلامة والبغي من الناس وهذا ما لا ينبغي له وهو المؤيد بالله وبروح القدس. وهكذا الحال مع قول الشاعر[٧٠]:

فإن يسلم السعدان[٧١] يصبح محمد بمكة لا يخشى خلاف المخالف

ومثل هذا يرد في مواقف الحروب، قال العباس بن مرداس السلمي[٧٢]:

ندنا غدا تئذ هوازن بالقنا والخيل يغمرها عجاج يسطع
إذ خاف حدهم النبي وأسندوا جمعاً تكاد الشمس منه تخشع

في مقابل ذلك نجد صوراً مغايرة عند كثير من شعراء السيرة النبوية تنقل وقائع الأحداث من سوح القتال وتظهر بالدليل القاطع أن رسول الله ﷺ كان يتقدم جيوش المسلمين في حروبهم وغزواتهم، قال كعب بن مالك في يوم بدر(٧٣):

رسول الله يقدمنا بأمر من امر الله أحكم بالقضاء

وقال العباس بن مرداس في يوم حنين(٧٤):

وقال نبي المؤمنين تقدموا وحب إلينا أن تكون المقدما

وقال شداد بن عارض الجشمي يتوعد أهل الطائف(٧٥):

إن الرسول متى ينزل بلادكم يظعن وليس بها من أهلها بشر

فمثل هذه الصور التي ينقلها شعراء السيرة النبوية من واقع الحدث هي أبلغ في وصف ما عليه رسول الله ﷺ من البأس وشجاعة الموقف، وهي مرآة نابضة بوعي الشاعر المؤمن بقضيته الأمين على رسم ملامح شخصية قائده بالرؤية الشعرية الصادقة والمنسجمة مع معطياتها الواقعية.

من جانب آخر سعى كثير من الشعراء إلى توثيق مآثر الصحابة وبطولاتهم وجهادهم في سبيل الله بشكل متميز، فكانوا ينقلون لنا وقائع صولاتهم بتفاصيل أدق

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل

ألا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول

مما تنقله الرواة، فهذا أبو دجانة يرتجز يوم أحد قائلاً(٧٦): لقد أغفلت رواية هذا الخبر في كتب السيرة كثيراً مما ألمح إليه أبو دجانة في بيتيه المتقدمين، فقد روي الخبر كالآتي: (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة، أخو بني ساعدة، فقال: وما حقه يا رسول الله ؟ قال: أن تشرب به العدو حتى ينحني ؛ قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه، فأعطاه إياه)(٧٧).

وبالعودة إلى البيتين نجد أن أبا دجانة يشير إلى عهد عهده إليه رسول الله ﷺ، وقد انفرد شعره بذكر هذا العهد وعمد إلى تصوير المكان الذي جرت فيه تلك الأحداث وتحديده، ويبدو من البيت الثاني أن أبا دجانة عهد إلى رسول الله ﷺ أن لا يكون في آخر الصفوف ما عاش من الدهر ما دام قد حظي بشرف الضرب بسيف رسول الله ﷺ.

وبهذا يكون الشاعر قد تميز على رواية الخبر بشيء من المعلومات والمواقف

التي جسدها بدقة كونه جزءاً رئيساً يؤلف ذلك الحدث، في حين جاءت رواية الخبر في إطار آخر خلا من تلك المعلومات الدقيقة، ما يؤكد أن للشعر نهجاً خاصاً في رواية الأحداث ونقلها، وليس بالضرورة أن يتطابق مع ما يتناقله الرواة من أمرها.

ولقد كانت لغزوة حنين نصيباً كبيراً من التوثيق في قصائد شعراء السيرة ولاسيما العباس بن مرداس الذي كان حريصاً على نقل أجواء المعارك بدقة متناهية، وقد تفردت قصائده بنقل كثير من أخبار تلك الغزوة نذكر منها على سبيل المثال قوله في جهاد قومه مع رسول الله ﷺ [٧٨]:

وكنا له دون الجنود بطانة يشاورنا في أمره ونشاوره وكنا
دعانا فسمانا الشعار مقدما له عوناً على من يناكره

فالشاعر يصور في هذين البيتين عمق التلاحم بين رسول الله وبني سليم الذين وقفوا كالبطانة بينه وبين الجنود لحمايته، وكان لهم من المكانة عنده ﷺ أنه كان يتبادل المشورة معهم في أمر القتال، وقد أطلق عليهم اسماً خاصاً بهم فسماهم الشعار لأنهم كانوا يتقدمون الجيش لقتال أعدائه.

إن هذه الأخبار وأمثالها في شعر السيرة النبوية تحمل في طياتها كثيراً من المعلومات التي لم يتناقلها الرواة ولم يقفوا عندها لإبرازها، وهي من الكثرة ما قد تؤلف مادة توازي في حجمها ما ورد من الروايات في شأن السيرة النبوية.

بقي أن نعرج على بعض النصوص الشعرية المتأخرة التي استقت مادتها من روايات الأخبار وأحالها أصحابها بذائقتهم الشعرية ووعيهم الذاتي إلى صور تخوض في ظل النص وانعكاساته التخييلية، من ذلك قول علي بن أبي الوفا[٧٩]:

لو أبصر الشيطان طلعة نوره في وجه آدم كان أول من سجد
أو لو رأى النمروذ نور جماله عبد الجليل مع الخليل وما عند

وما جاء على لسان مغلطاي في شأن حليمة، إذ يقول[٨٠]:

أضحت حليمة تزدهي بمفاخر ما نالها في عصرها إثنان
منها الكفالة والرضاع وصحبة والغاية القصوى رضا الرحمن

نصل من هذا كله إلى أن المهمة التي كان ينهض بأعبائها شعر السيرة النبوية لم تكن باليسيرة، فقد واكب كثير من شعراء السيرة مراحل ازدهار القصيدة الجاهلية وعناصر نجاحها، غير أن واقع القصيدة الإسلامية الجديد لم يثنهم عن تسخير مواهبهم بما يتوافق وقيود مضامينها، فاستطاع بعض منهم أن يفرض سلطة

وعيه ورؤيته الشعرية على القصيدة ليرسم لنا صوراً حية من إبداعاته الشخصية من دون أن يتقيد برواية الموضوع وأخباره، وبهذا حققوا لأنفسهم نوعاً من الريادة في توثيق أخبار السيرة النبوية ونقل وقائعها من خلال الشعر حصراً.

الخاتمة:

تعد النصوص الشعرية التي نظمت في شأن السيرة النبوية سجلاً حافلاً بالأحداث والمواقف سواء الشخصية منها التي تتعلق بنبي الهدى والرحمةﷺ أو ما يتعلق منها برسالته السمحاء وما رافق بعثته الشريفة من مشاهد إنسانية وصراعات فكرية وعقائدية أو مواجهات دامية مع قوى الضلالة والكفر.

ومن خلال دراستنا وتحليلنا لنماذج عدة من تلك النصوص الشعرية وجدنا أنها بنيت على أساس من الوعي اختلف باختلاف قدرة الشاعر وثقافته الشخصية وطبيعة معاصرته الزمانية والمكانية للحدث فكانت المحصلة أننا انتهينا إلى رصد اتجاهين فكريين بنيت على أساسهما تلك النصوص:

كان الأول يعتمد على أساس نقل الأحداث والمواقف وتدوينها وفق ما هي عليه وما أخبر به الرواة من شأنها، والتقيد بسرد المشاهد وذكر الشخصيات على وفق ما هو منقول، فلم تكن لرؤية الشاعر الشخصية أي دور في تلك النصوص سوى نظمها في قوالب موزونة خالية من الأخيلة ومفتقرة إلى الشعرية، إذ كان هم الشاعر الأكبر فيها هو الحفاظ على تلك الروايات من الضياع وضمان تلقيها وحفظها في صدور الناس إلى أمد بعيد والسعي في نشرها بسهولة في أصقاع الدولة الإسلامية الممتدة شرقاً وغرباً، فضلاً عن ذلك كان الشاعر طموحاً إلى تحقيق هدف ذاتي في نيل شرف الجهاد بكلمته في سبيل الله عبر تسخير شعره في خدمة الدعوة الإسلامية ونشرها بغض النظر عن فنية ذلك الشعر، لذا وجدنا أنفسنا أمام نصوص تنطلق من وعي جماعي وفكر مقيد بأطر موضوعية ثابتة لا تختلف بشيء عن ما تناقلته الروايات من أخبارها.

فيما كان الأساس الآخر يستند إلى رؤية فنية مميزة وفكر متجدد حرص على أن يضع بصمته على نتاجاته الشعرية، فكانت هناك فرصة للشاعر للإعراب عن قدرته في التقاط الصور الشخصية والإعراب عن تميزه في نقلها، وفرصة للشعر أن تكون له الريادة في نقل الخبر وبسط الفكرة وفق ما يجود به وعي الشاعر الخلاق الراصد للحدث بآلياته الفنية الخاصة، لقد عبرت تلك النصوص عن اللحظة الإبداعية

للشاعر الحر وأسهمت في إيصال فكرة مفادها أن للشعر كلمته ودوره المتميز في نقل مشاهد السيرة النبوية، وأن هناك من الأخبار ما تفردت به النصوص الشعرية ويمكننا من خلال رصدها وجمعها وتحليلها الوصول إلى خفايا وحقائق جديدة تضاف إلى ما في كتب السيرة من أخبار وروايات.

هوامش البحث:

[١] معجم مقاييس اللغة: ابن فارس: (سير).
[٢] طه/٢١.
[٣] لسان العرب: ابن منظور: (سير).
[٤] المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني: ٣٢٦.
[٥] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة وكامل المهندس: ٢٠٥. وينظر: معجم المصطلحات الأدبية:: إبراهيم فتحي ٢٠٢-٢٠٣.
[٦] ينظر: ينظر موسوعة الفقه الإسلامي: التويجري: ٥١٧/١ وما بعدها.
[٧] السيرة النبوية: ابن هشام: ٣/١.
[٨] مصادر السيرة النبوية وتقويمها: د. فاروق حمادة: ٣٢.
[٩] ينظر: نفسه: ٣٧.
[١٠] ينظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: د. مهدي رزق الله: ١٥- ٤٤، ومصادر السيرة النبوية وتقويمها: ٣٩- ١٤١.
[١١] الإسلام والشعر: د. سامي مكي العاني: ١٧٣.
[١٢] ينظر: نفسه: ١٧٣.
[١٣] الشعر والشعراء: ابن قتيبة: ٣٠٥.
[١٤] ينظر: الشعر الإسلامي في صدر الإسلام: د. عبد الله الحامد: ١١٢.
[١٥] تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري: د. نجيب محمد البهبيتي: ١١٣.
[١٦] ينظر: الإسلام والشعر: ٢٠٠، شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثالث: د. سفير القثامي: ٨٠.
[١٧] شعر النعمان بن بشير الأنصاري: د. يحيى الجبوري: ٨٩.
[١٨] الزمر/٢٣.
[١٩] محمد (صلى الله عليه وسلم) في الشعر الحديث: حلمي القاعود: ١١٥.
[٢٠] السيرة النبوية: ابن هشام: ٦٤٠/١.
[٢١] شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في شعر صدر الإسلام: منور محمد الحربي: ١٥٢.
[٢٢] الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني: ١٣٨/٤.
[٢٣] شرح ديوان كعب بن زهير: أبو سعيد السكري: ١٥٤.
[٢٤] السيرة النبوية: محمد بن أحمد الذهبي: ٣١، وينظر: البداية والنهاية: إسماعيل بن كثير: ٣٦٩/٣، والأبيات تروى لحسان على ضعف، وللعباس بن مرداس السلمي.

[٢٥] البداية والنهاية: ٣/٣٧٠.
[٢٦] سبل الهدي والرشاد: ١/٩٩.
[٢٧] نفسه: ١/٩٩، البيت غير منسوب.
[٢٨] **نفسه**: ١/٤٧٩.
[٢٩] سبل الهدي والرشاد: ٣/٣٤٢.
[٣٠] السيرة النبوية: ابن هشام: ١/٥١٢ وينظر: السيرة النبوية: الذهبي: ٢٣٥، البداية والنهاية: ٤/٥٠٤.
[٣١] السيرة النبوية: ابن هشام: ١/٦٦٤.
[٣٢] سبل الهدي والرشاد: ٣/١٣٤.
[٣٣] سبل الهدي والرشاد: ٣/١٣٤. الأبيات غير منسوبة.
[٣٤] البداية والنهاية: ٦/٤٥٨.
[٣٥] السجدة / ١٦
[٣٦] السيرة النبوية: ابن هشام: ٢/١٥.
[٣٧] الشعراء / ١٥٣، ١٨٥.
[٣٨] السيرة النبوية: ابن هشام: ١/٦٦٠.
[٣٩] نفسه: ٢/١٦.
[٤٠] نفسه: ٢/٤٢٠.
[٤١] سبل الهدي والرشاد: ١/٢٨٢-٢٨٣.
[٤٢] السيرة النبوية: ابن هشام: ٢/١٩٦.
[٤٣] السيرة النبوية: ابن هشام: ١/٦٣٩.
[٤٤] نفسه: ١/٦٤٠.
[٤٥] البداية والنهاية: ٣/٣٨٦، وينظر: السيرة النبوية: ابن هشام: ١/ ١٦٠.
[٤٦] ينظر: نفسه: ٣/٣٨٦.
[٤٧] السيرة النبوية: ابن هشام: ١/١٩٢.
[٤٨] سبل الهدي والرشاد: ١/١٥٥.
[٤٩] نفسه: ٢/١٩١.
[٥٠] سبل الهدي والرشاد: ٢/١٩١.
[٥١] نفسه: ٢/١٩٢.
[٥٢] نفسه: ٢/١٩٢.
[٥٣] نفسه: ٢/١٩٢.
[٥٤] سبل الهدي والرشاد: ٢/١٩٢.
[٥٥] نفسه: ٢/١٩٢.
[٥٦] ينظر: نفسه: ٢/١٩٠.
[٥٧] السيرة النبوية: الذهبي: ٢٥، وينظر: سبل الهدي والرشاد: ٢/٥٠٧.

[٥٨] رواه البخاري (٣٥٥١) ومسلم (٢٣٣٧)، وينظر: مختصر سيرة النبي ﷺ: المقدسي: ١٤٣-١٤٤.
[٥٩] السيرة النبوية: ابن هشام: ٢٧/٢.
[٦٠] السيرة النبوية: ابن هشام: ١٩٧/١، وينظر: سبل الهدي والرشاد: ٢٣٣/٢ برواية: فلم يفجنا إلا الأمين محمد
[٦١] ينظر: الشمائل المحمدية:: أبو عيسى الترمذي ١٧٠-١٧٢.
[٦٢] سبل الهدي والرشاد: ١٣/٢
[٦٣] البداية والنهاية: ٥٨٣/٣.
٦٤ لم يعرف قائله.
٦٥ بهجة المجالس: ٦٠٤/١
٦٦ ينظر: السيرة النبوية: ابن هشام: ٤٦١/١
[٦٧] التوبة/٤٠
[٦٨] الإشارة إلى سيرة المصطفى: مغلطاي بن قليج: ١٥٣.
[٦٩] السيرة النبوية: الذهبي: ٢٣٥.
[٧٠] نفسه: ١٩٢.
[٧١] وهما: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة.
[٧٢] السيرة النبوية: ابن هشام: ٤٦٣/٢.
[٧٣] نفسه: ٢٦/٢.
[٧٤] نفسه: ٤٧٠/٢.
[٧٥] نفسه: ٤٨٢/٢.
[٧٦] نفسه: ٦٨/٢.
[٧٧] السيرة النبوية: ابن هشام: ٦٦/٢.
[٧٨] الروض الأنف في شرح السيرة النبوية: عبد الرحمن السهيلي: ١٩٢/٧.
[٧٩] سبل الهدي والرشاد: ٩٦/١.
[٨٠] نفسه: ٤٦٩/١.

مصادر البحث ومراجعه:

١. القرآن الكريم.
٢. الإسلام والشعر: د. سامي مكي العاني- عالم المعرفة- الكويت- ١٩٩٦ م.
٣. الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا: مغلطاي بن قليج- تح: محمد الفتيح- دار القلم- دمشق- ١٩٩٦ م.
٤. الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني- دار الكتب المصرية- مصر- ط٢- ١٩٥٢ م.
[٥] البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير- تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي- دار هجر- مصر- ١٤١٨ هـ.

٦.تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري: د. نجيب محمد البهبيتي- دار الكتب المصرية- مصر- ١٩٥٠ م.
٧.الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: عبد الرحمن السهيلي- تحـ: عبد الرحمن الوكيل- دار الكتب الإسلامية- مصر- ١٩٦٧ م.
٨. سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي- تحـ: د. مصطفى عبد الواحد- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- القاهرة- ١٩٩٧ م.
٩.السيرة النبوية: ابن هشام- تحـ: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي- مطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر- د. ت.
١٠.السيرة النبوية: محمد بن أحمد الذهبي- تحـ: حسام الدين القدسي- دار الكتب العلمية- بيروت- د. ت.
١١.السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: د. مهدي رزق الله- دار إمام الدعوة- الرياض- ط٢- ١٤٢٤ هـ.
١٢.شخصية الرسول ﷺ في شعر صدر الإسلام: منور محمد الحربي- رسالة ماجستير- جامعة مؤتة- ٢٠٠٩ م.
١٣.شرح ديوان كعب بن زهير: صنعة أبي سعيد السكري- دار الكتب والوثائق- القاهرة- ط٣- ٢٠٠٢ م.
١٤.الشعر الإسلامي في صدر الإسلام: د. عبد الله الحامد- مطابع الإشعاع التجارية- الرياض- ١٩٨٠ م.
١٥.شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثالث: د. سفير القثامي- الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة- ٢٠٠٨ م.
١٦.شعر النعمان بن بشير الأنصاري: تحـ: د. يحيى الجبوري- دار القلم- الكويت- ط٢- ١٩٨٥م.
١٧.الشعر والشعراء: ابن قتيبة- تحـ: أحمد محمد شاكر- دار المعارف- القاهرة- ١٩٦٦ م.
١٨.الشمائل المحمدية: أبو عيسى الترمذي- تعليق: عزت عبيد الدعاس- دار الحديث- بيروت- ط٣- ١٩٨٨ م.
١٩.لسان العرب: ابن منظور- المطبعة الميرية- بولاق- مصر- ١٣٠٠ هـ.
٢٠.محمد ﷺ في الشعر الحديث: حلمي القاعود- دار الوفاء- مصر- ٢٠٠٠م.
٢١.مختصر سيرة النبي ﷺ: ابن عبد الواحد المقدسي- تحـ: خالد الشايع- دار بلنسية- الرياض- ط٢- ٢٠٠٣ م.
٢٢.مصادر السيرة النبوية وتقويمها: د. فاروق حمادة- دار القلم- دمشق- ط٣- ٢٠٠٢ م.
٢٣.معجم المصطلحات الأدبية: إبراهيم فتحي- التعاضدية العمالية للطباعة- صفاقس- ١٩٨٨م.
٢٤.معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة وكامل المهندس- مكتبة لبنان- بيروت- ط٢- ١٩٨٤.
٢٥.معجم مقاييس اللغة: أحمد ابن فارس- تحـ: عبد السلام هارون- دار الفكر- بيروت- ١٩٧٩م.

٢٦.المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني- تحـ: مركز الدراسات والبحوث- مكتبة نزار مصطفى الباز- مكة المكرمة- ١٩٩٧ م.
٢٧. موسوعة الفقه الإسلامي: محمد بن إبراهيم التويجري- بيت الأفكار الدولية- السعودية – ٢٠٠٩م.